قصيدة الجواهري البائية في هاشم الوتري
ـ دراسة نقدية ـ

الأستاذ المساعد الدكتور
رحيم خريبط عطية الساعدي
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

قصيدة الجواهري البائية في هاشم الوتري ــدراسة نقدية ــ

الأستاذ المساعد الدكتور
رحيم خريبط عطية الساعدي
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

المقدمة

سأدرس في هذا البحث واحدة من قصائد الجواهري المشهورة ؛وجاءتها هذه الشهرة من لغتها القوية. فقد كان الشاعر متوترا جدا- على عادته- وستكون دراستي دراسة نقدية تظهر المواطن التي ابدع فيها الشاعر مثلما تظهر مواطن الضعف لدبه وهذه هي الدراسة النقدية ،ويتطلب المنهج النقدي تحليلا اجرائيا يسبر اغوار النص من خلال اقتحامه مباشرة ولا يظل الباحث يحوم حول النص ولا يدخل فيه!ويتطلب المنهج كذلك معرفة الظروف المرافقة لنظم القصيدة ومناسبتها ومعرفة الظرف السياسي والاجتماعي الذي مر به العراق آنذاك.

وتعرضت فيها الى تلك المصادر التي استقى الشاعر منها حين اراد نظم قصيدته ؛مع انه لم يصرّح بها!وسيمر البحث على ان الشاعر اتخذمن شخصية هاشم الوتري الذي انشأ القصيدة من اجله لينفذ الى مهاجمة السياسيين العراقيين في ذلك الوقت .

وتعرضت الدراسة الى لغة الشاعر واساليبه وكيف تذبذب اسلوبه بين الاعتماد على الموروث اللغوي الهائل عنده وبين اللغة اليومية الدارجة االتي يستعملها الناس.
ومر البحث على شخصية الجواهري من الناحية النفسية لمعرفة الصور التي زخرت بها القصيدة، وكذلك الستعمال الشعري الذي فضله الشلعر دون سواه.

واعتمدت في ذلك على ديوان الشاعر وعلى كتب نقدية قديمة وحديثة، وختمت البحث بنتائج توصلت اليها .

اسأ ل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد،وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

أولا:

ان قصيدة الجواهري البائية التي القاها في الحفل التكريمي الذي اقيم للدكتور هاشم الوتري - عميد الكلية الطبية - بمناسبة انتخابه عضو شرف في الجمعية الطبية البريطانية في سنة 1949م ،تعد من القصائد التي تستحق التحليل والدراسة لوحدها .لان الشاعر نظمها في وقت كانت الظروف فيه محتدمة ،وكانوا قد طلبوا من الشاعر ان

ينظمها ؛وهذا طبعا يتنافى مع رغبة الشاعر في ان يقول ما يحس به ؛وبحسب ما تمليه عليه ظروفه ودواعي الفن الشعري؛لا ان يفرض عليه من الخارج. ومع ذلك كان الجواهري "يتظاهر" بالرفض ويرقص فرحا خلف سماعة الهاتف ؛بحسب قوله. [1] . اذا كانت الظروف مهيأة وكل البواعث متوافرة.

واول ما قرأت القصيدة ،قفزت الى ذهني قصيدة المتنبي ذات المطلع:

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسلت من الحرير جلابيا [2]

فالوزن نفسه؛والقافية نفسها وطريقة النظم والالفاظ التي استعملها الجواهري وردت عند المتنبي .فلا يمكنني ان اعدها من التشابه او توارد الخواطر! بل ان الجواهري قرأ قصيدة المتنبي وتأثر بها - لى عادته - وهذا يضاف الى ما قلته قبل قليل من ان الجواهري كان قد هيأ نفسه ؛فهو صانع ماهر لم يجعل الصور الشعرية تتدفق بانسيابية وعفو الخاطر،بل اعد لكل ذلك اعدادا.وموازنة سريعة بين القصيدتين ؛نرى ان الجواهري استعمل كلمات القافية التي استعملها المتنبي ، وهي((غرائبا- ترائبا-الذائبا- مخالبا- صاحبا- مضاربا- شاربا- كاذبا-ى محاربا- آيبا- ضاربا- كواكبا- كتائبا- ثعالبا- الحاجبا- الغاصبا- غائبا- ثاقبا- مثالبا- عواقبا- طالبا- الواجبا- الكاتبا-)) وهناك كلمتان وردت عند المتنبي مثل ((كاعبا)) استعملها الجواهري بالجمع:كواعبا؛و((ساكبا)) استعملها الجواهري :سواكبا.

ثانيا:

بدأ الشاعر قصيدته ببت غير مصرّع بل كان مقفّى [3] وكان قد هجم هجوما مباشرا على موضوعه[4] .وكأن "مديح "هاشم الوتري،فرض واجب كان على الشاعر ان يسقطه! ولم يتكن هذه الشخصية قد سيطرت على الشاعر ؛وجعلته يبث اغانيه في مديحه. فقد يكون منصب الوتري غير محفز جدا للجواهري! وانما اراد ان يثني على عالم عراقي اسهم في معالجة الجرحى في اثناء الوثبة؛لا اكثر ولا اقل! واراد ان "يستغل" هذه المناسبة ليقول كلمته في عصر مائج؛كان كل شيء فيه مثير.ويبدو ان الجواهري استعد لهذا الحفل ودبر امر عائلته وبعد الانتهاء من قصيدته مزقها امام الجمهور [5] .

لذلك ترى ان اهمية القصيدة لا تأتي من كونها في الوتري بل لان الجواهري هاجم فيها السياسيين العراقيين! وارى ان الجواهري اكتفى بمديح الوتري لما التفت اليه احد ولماتت القصيدة بعد مناسبتها.فالذي اكسبها هذا البقاء ؛وهذه الشهرة تعرّضها للسياسيين وشتمهم ، والعراقيون يحبون الشاعر العرّيض ويحبون من يعارض السلطة،فهم سياسيون بالفطرة!

ثالثا:

بدأا لشعر قصيدته بأربعة أبيات لا تخرج عن شخصية الوتري:

مجذت فيك مشاعرا ومواهبـــا وقضيت فرضا للنوابغ واجبـــا

بالمبدعين"الخالقين"تنـــــــورت شتّى عوالم كن قبل خرائبـــــا
شرفا"عميــد الدار"عليا رتبـــــة بوئتها في الخالدين مراتبـــــــــا
جازتك عن تعب الفؤاد فلم يكن تعب الدماغ يهمّ شهما ناصبا [6]

وحين يصل الى البيت الخامس يبدأ بالضديّات:

اعطتكها كفّ تضمّ نقائضـــــــا تعيا العقول بحلها وغرائبـــا [7]

ثم يقول معتمدا على شخصيته "المتناقضة" فشخصية الجواهري شخصية متناقضة غير مطمئنة وفي الوقت نفسة جريئة،وهذا ما يسميه علم النفس بالشخصية "العصابوية"،وشخصية "الانفتاح للخبرة" وهي الخصية الثانية التي يتمتع بها الجواهري بحسب تصنيف روبرت مكري وبول كوستا اذ صاغا انموذجا سمياه ((انموذج العوامل الخمسة للشخصية))[8]وفي شخصية "الانفتاح للخبرة" نجد الجواهري جريئا غير تقليدي ،واسع الخيال وهذه الصفات يجدها كل من قرأ ديوان الجواهري بامعان:

مدت لرفع الافضلين مكانـــة وهوت لصفـــع الاعدلين مطالبا!
ومضت تحرر الف الف مقالة في كيف يحترمون جيلا واثبا [9]

ولا يخفى على الناقد ان الشاعر يقع في صراع في انتقاء مفرداته،فتارة تراه يستعمل المفردات القديمة ،وتارة اخرى يجنح الى الاستعمال اليومي والمألوف لتلك المفردات ،"يحترمون" وتعبير"في كيف يحترمون" من الاستعمالات الشائعة عند العراقيين والعرب ،فمخزون الجواهري الكبير من الالفاظ وثقافته العامة ،هما اللذان جعلاه يستعمل هذين النمطين من الالفاظ .وقد اشار الدكتور علي ناصر غالب الى استعمال الجواهري اللغة بتاريخها الطويل فقال:((ان اللغة لدى الجواهري هي اللغة بتاريخها الطويل وبثرائها كله،وهي اداته الجديرة بالاصطباغ بدماء كل العصور ،فاللفظة عنده لا تنتمي لعصر دون آخر ؛بل هي اللفظة التي تبقى حية في خياله الخصب))[10] واشار ايضا الى استعانة الجواهري بالالفاظ الدارجة وما هو مألوف من استعمال يومي بقوله:((ان الاستعانة بالالفاظ الدارجة لايشكل عيبا على الشاعر ،لانه يدرك اكثر من غيره ما تحمله هذه اللفظة من قدرة على الايحاء والاثارة لكونها تعيش في الاستعمال فتتولد منها دلالات مجازية جديدة تبعدها عن الاصل الذي وردت فيه))[11] لذلك ترى "تفاوتا " في استعمال المفردات ،وهذا التفاوت لا يكون من صالح الشاعر بطبيعة الحال ؛وانما ناتج عن عدم تمكن الشاعر من هضم اللغة بشكل عام ،وبهذا اخالف ما ذهب اليه الدكتور علي ناصر غالب من ان الجواهري متمكن حدا من لغته وانه في تطويع لغته "الدارجة"مع "الفصحى" قد احدث تجاوبا وتناسقا و((ان له خبرة واسعة باللغة وسيطرته على آلياتها اتاحت له قدرة عجيبةعلى استنفاد وسائل التعبير بهذه اللغة)) [12] فهذا التمكن يقتصر على مقدرة الشاعر في انتقاء المفردة واستعمالها بشكل لا يخالف معناها او سياقها الذي وردت فيه في معجمات اللغة ، لكنه من جانب آخر يؤثر في استواء الشعر لديه. وهذا الامر واضح في هذه القصيدة وفي اختلاف المستويات اللغوية عنده ما بين القديم والحديث ؛ ولم تكن مزاوجته للأساليب

مزاوجة علمية مستوية. ويستمر الشاعر بالإتيان بالشيء وبنقيضه ؛ مطابقابين المادة وضدّها:

في حين ترهق بالتعنت شاعـــــرا يهدي مواطنه وتزهق كاتبـــــــــا
"التيمسيون"الذين تناهبـــــــوا هذي البلاد حبائبا واقاربـــــــــا
والمغدقون على "البياض" نعيمهم الخالعون على "السواد" زرائبـــــا
والحاضنون الخائنين بلادهـــــم حضن الطيور الرائمـــــات زواغبا [13]

وبهذه الكلمات "النارية" مثلما سمّاها ناقد يستمر الشاعر:

يستصرخون على الشعوب لصوصها في حين يحتجزون لصّا ساربـــــا
ويجنبون الكلب وخزة واخـــــــــز ويجهزون على الجموع معاطبا [14]

وتاخذ "نبرة"الشاعر بالتصعيد ، وكلما تقدمنا معه تصعد لهجته وتزداد توترا،والملاحظ على اسماء الفاعلين التي استعملها الجواهري والافعال المضارعة وكلها تدلل على التجدد واستمرار الحدث - وهو يتحدث عن حدث ماض- مما يعطي انطباعا واضحا على استمرار نهج رجال آنذاك ،ولعل اثر قصيدة المتنبي التي استعمل فيها اسماء الفاعلين وكان يتحدث عن النساء فجاء استعماله تلك الاسماء طبيعيا،بينما يستطيع الجواهري ان يعدل عن هذا الاستعمال الى استعمال آخر.ان الجواهري يكلم هاشم الوتري ويهاجم السلطة وازلامها في الوقت نفسه - كعادته- لايهادن ولا يلين بل يتحدى بلسانه وقلمه .وعنده ان هذا التحدي كاف لمثل اولئك الذين باعوا البلاد وملأوا جيوبهم بالنقود . ثم يهدئ من روعه ويتكلم عن "صنعة" الوتري ومهنته وكيف يعالج المرضى ويلبسهم الحياة!

تتلمس "النبضات" تجري أثرها خلجات وجهك راغبا او راهبا [15]

ولا يخفى على القارئ الحاذق ان كلمات من مثل "راغبا" و"راهبا" جاء الشاعر بها لإكمال الوزن فهي لاتتناسب مع السياق إلا إن يتعذّر له متعذّر فيقول:ان الشاعر انما اراد ان يضفي نزعة إنسانية على الطبيب ولا سيما ان المصبين كانوا من الثوار وان هذا الطبيب إنما يهمه أمر هؤلاء المصابين! وتستمر الأبيات بهذه الطريقة،ولا شيء فيها يلفت الانتباه إلا قوله:

اوقفت للصرعى نهاا دائبا وسهرت ليلا نابغيا ناصبا [16]

ففيه تقفية مع ان الشاعر لم يختط طريق جديدة في الكلام ،وفيه قوله:"ليلا نابغيا ناصبا"كناية عن طول هذاالليل وسهر الطبيب، مشيرا الى ليل النابغة الذبياني المشهور بطوله وسهاده! وظل الشاعر يشيد بخدمات الوتري معتمدا في صوره بالدرجة الاولى على الطباق وما يعطيه من ضدية في التعبير ،والطباق في راي عبد الله المحارب فيه خاصية التضاد الذي يتفق مع الصراع الذي يشغل فكر ابي تمام ومشاعره فأكب عليه مستغلا حركة التناقض ؛فنسجه مع عناصرالتصويرالاخرى[17] في حين يرى عبده بدوي : ان ابا تمام استعمل الطباق لانه وجده طيّعا ويقدم كثييرا للتجربة الشعرية [18] وارى ان الجواهري قلل من الصور الاستعارية بنوعيها التصريحية والمكنية ،مع انها تعطي ثراء وتوفر عمقا في المعنى اكثر مما يوفره الطباق ، وكلما اكثر الشاعر من البديع ازدادت الصنعة لديه؛والاى ايضا

ان الجواهري كان قد سبق باابي تمام في ذلك الطباق وان كان عند ابي تمام يعد طباقا راقيا لانه ينبع من ذاته ومن نفسه و((ان الطباق كان متاصلا في اصل طباع الشاعر)) [19] لكنه لم يكن بهذا المستوى عند الجواهري آخذا بالحسبان ان الجواهري استثمر هذا العنصر البديعي استثمارا رائعا في اضفاء موسيقى غنائية تشد النفس وتطرب السامع ،لما تمتلكه من اريحية لا تتأتى الا لاولئك الكبار من الشعراء.

ومما يلفت نظر القارئ ان الشاعر اكثر من الجمل الاسمية بعد هذا البيت!واارى ان الذي يقف وراء جنوح الشاعر الى ذلك ؛تركيزه الحديث على الوتري ، واراد ان يسوق الحقائق والحكم من وراء ذلك ، فطول القصيدة اعطاه حرية وفسحة من الوقت للتعبير عما يختلج في نفسه وفي مخيلته من صورومن تعابير لا بد له من البوح بها ، فالجمل الاسمية تعطي مثل هذا التوجيه وتستوعبه وتمهل الشاعر فرصة ليست بالقليلة لتأملاته وخواطره:

وحضنت هاتيك الاسرة فوقها أسد مضرجة تلوب لواغبـــــــا
ارج من الذكرى يلفك عطره ويزيد جانبك المطد جانبـــــــا
ولانت صنت الدار يوم اباحها باغ ينازل في الكريهة طالبـــــــا
الغي ينجد بالرصاص مزمجـــرا والرشد ينجد بالحجارة حاصبـــا
ولانت اثخنت الفؤاد من الأسى للمثخنين من الجراح تعاقبـــــــا
اعراس مملكة تزف غرر الشباب الى التراب كواكبا [20]
لمجدهـــــــــا

وفي اثناء ذلك يخاطب بغداد بنداء:

بغداد كان المجد عندك قينـــــــة تلهو وعودا يستحث الضاربا [21]

((فيتخذ من المنادى محورا قوليا يجعل جل الجمل تنصب عليه)) [22] مثلما يقول علي ناصر غالب- وهو يتحدث عن قصائد اخر طبعا- وتظل الجمل الاسمية تتدفق في هذا الاطار تاركة الشاعر يبث آهاته وآلامه وغناءه من خلالها.الى ان يقول:

حدث "عميد الدار" كيف تبدلـت بؤرا قبابا كن قبل محاربا [23]

ونراه يكثر من عذا الاستعمال ، وارى ان "هيمنة" هذا الاستعمال لا يعد "مهيمنة" من الناحية الاصطلاحية لهذه الكلمة وانما كان رمزا طلليا استطاع الشاعر من خلاله ان يلوذ به لما رآه من صور السلطة وهيمنة بعض الشخصيات على مقاليد الحكم في العراق،يراها الشاعر انها لم تكن تستحق الصدارة ، فما كان منه الا ا يلجا الى الوتري لينطلق من خلال هذه الشخصية النبيلة الى مهاجمة المستبدين والظالمين ،ولم ينس الشاعر نفسه في انه من الممتمردين الكبا من بين شعراء العربية! [24] .والحقيقة ان الشاعر انما اكتسب هذه الاهمية من هذه المعارضة الشعرية السياسية ، والا فشعره - بمجمله- لا يتعدى كونه شعرا عباسيا في صوره واخيلته وصياغاته وتراكيبه . ولكن تقليد الجواهري كان تقليدا ايجابيا ،فهو قد عرف كيف يعالج الواقع من الناحية الشعرية واستطاع - بمهارته- ان يكون لنفسه قراء ومعجبين وصنع لنفسهمجدا يدل على انه شاعر لم يهادن السلطة - وان لم يكن كذلك في شعره كله - وانه رافض لهذه السلطة

ومنحاز للجماهير "الكادحة" ؛ودراستي لهذه القصيدة اثبتت ذلك ؛اعني ان الجواهري لم يكن كالسياب مثلا الذي نفذ - من خلال اطلاعه على الغرب-- الى تكوين شخصية خاصة به من الناحية الفنية ،بل كان لا يتجاوز القدماء في اخيلته وصوره - وان بدا- انه لاينظر الى القديم لحظة تكوين القصيدة لديه وانه - في هذه القصيدة- كان "يحدو" على السطح في اثناء نظمها وقالت له(ام فرات)وصححها الديوان بـ(ام نجاح)))عوافي ابو فرات!)) عندما وصل الى قوله:"ايه عميد الدار شكوى صاحب" [25] ولا يخفى على الناقد ان الجواهري صاحب ذاكرة قوية تختزن الصور في ذهنه الى وقت بعيد.

ويستمر الشاعر في كيل الشتائم للخونة والمستعمرين ولكل لئيم وشبههم بالنمور وبالسباع ويعود الى تكرار "عميد الدار":

ايه "عميد الدار" شكوى صاحب طفحت لواعجه فناجى صاحبا [26]

وظل الشاعر يخاطب الوتري ويشكو اليه لانه لم يجد احدا ليشكو اليه ،وينفذ من خلال هذه الشكوى الى مهاجمة المستعمرين ومن لفّ لفهم من المستفيدين من المكاسب على حسلب الشعب المحروم. ولما يزل يخاطب الوتري حتى يصل الى "لحظة الصدام " بينه وبين الطغاة ليقول:

أنبيك عن شر الطغام نكايـــة بالمؤثرين ضميرهم والواجبـــــا
لقد ابتلوا بي صاعقا متلهبـــا وقد ابتليت بهم جهاما كاذبا [27]
حشدوا علي المغريات مسيلـة صفرا لعاب الارذلين رغائبـــــا
بالكاس يفرغها نديم مالثـــا بالوعد منها الحافتين وقاطبـــا
وبتلكم الخلوات تمسخ عندهـــا تلع الرقاب عن الظباء ثعالبـــا!!
وبان اروح ضحى وزيرا مثلمـا اصبحت عن امر بليل نائبـــــا
ظنا بان يدي تمدّ لتشتـــري سقط المتاع وان ابيع مواهـــبا
وبان يروح وراء ظهري موطـن اسمنت نحرا عنده وترائبـــــا
حتى اذا عجموا قناة مـــــــرة شوكاء تدمي من اتاها حاطبا
واستيأسوا منها ومن متخشّـــب عنتا كصل الرمل ينفخ غاضبا
حرّ يحاسب نفسه ان ترعـــوي حتى يروم لمن سواه محاسبـــا
ويجوز مدح الاكثرين مفاخـــرا ويجوز ذم الاكثرين مثالبـــــا!!
حتى اذا الجندي شد حزامـــــه وراى الفضيلة ان يظل محاربـــا
حشدوا علي الجوع ينشـــب نابه في جلد "ارقط" لا يبالي ناشـــبا
وعلى شبول الليث خرق نعالهم! ازكى من المترهلين حقائبـــــا [28]

آثرت ان انشد هذه الابيات لانها تعبر عن شخصية الجواهري الحقيقية اكثر من الابيات التي سبقتها،أرايت كيف استرسل الشاعر هنا وجاءت ابياته يكمل بعضها بعضا! في حين كان يخرج من شخصية لوتري الى الهجوم على رجالات السلطة الحاكمة ،ووصل هنا الى الخصومة الحقيقية بينه وبين السلطة، وانها كانت تتحين الفرص لازعاجه وتجويعه؛ويظل هو يتحدى؛ليصل الى "خرق نعال"اولاده ! وانه ازكى من

هؤلاء المتنعمين ! انها لغة رافض حاقد على سلطة جائرة اشد ما يكون الرفض والحقد.ولم يستطع الشاعر ان يهدئ نفسه ليرد على الحكّام آنذاك ردّا "حضاريا" هادئا يبين "سلبياتهم" وما وقعوا فيه من اخطاء بحق الشعب.بل كان يهاجم بشكل مباشر ،ويعمد الى التصريح من دون التلميح ، ولا شك ان هذا الاسلوب عندي هو اسلوب بسيط من الممكن ان يقوم به الشعراء الوسط ،اما الاسلوب المطلوب فهو الاسلوب غير المباشر ،ذلك الاسلوب الذي يتسامى فيه الشاعر الكبير عن الشتم الصريح ليبين اعوجاج السلطة وجور الحكّام باسلوب بليغ تكون سماته سيطرة الشاعر على نفسه،مثلما فعل في الجاهلية الحارث بن حلزة البكري حين ردّعلى قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي الصاخبة!،فشتم الآخرين امر سهل وليس به حاجة الى فن راق! آخذا بالحسبان ان الجواهري طرق موضوعا حسّاسا هو الجوع وأحق به انحيازه للرعية ، وهذان الموضوعان يثيران الحماسة لدى الشعب ولدى القرّاء ايضا .

ولم تهدأ نفسية الشاعر ، بل ظلت تصعد شيئا فشيئا فيقول:

ماذا يضر الجوع مجد شامـــــــخ اني اظل مع الرعية ساغبـــــا
اني اظل مع العية مرهقـــــــــا اني اظل مع الرعية لاغبـــــــا
يتبجحون بان موجا طاغيـــــــا سدّوا عليه منافذا ومساربـــــا
كذبوا فملء فم الزمان قصائدي ابدا تجوب مشارقا ومغاربـــــا
تستل من اظفارهموتحط مـــــن اقدارهم وتشل مجدا كاذبـــــا
انا حتفهم الج البيوت عليهـــم اغري الوليد بشتمهم والحاجبـــا
خسئوا :فلم تزل الرجولة حـرة تابى لها غير الاماثل خاطبـــــا
والامثلون هم السواد فديتهـــم بالارذلين من الشراة مناصبـــــا
بمملكين الاجنبي نفوسهـــــم ومصعدين على الجموع مناكبا [29]

وليس من احد يشك في ان هذه الابيات مما ينتظره المحبطون والرافضون للسلطة في ذلك الوقت ، وانهم حين سمعوا هذه الابيات هللوا وطبلوا لها واظن انه حين انشد هذا البيت:

انا حتفهم الج البيوت عليهـــم اغري الوليد بشتمهم والحاجبا

قالوا له:سلمت ابا فرات! لانه عبر عما يختلج في نفوسهم وانهم يرجون لو قالوا هذا البيت وانشدوه معه.والحق ان في اتخار الجواهري بقصائده هو مواصلة ما بداه ابو تمام والمتنبي من افتخار بشعرهما.

ثم يعود الشاعر الى الوتري بعد هذه"الغضبة" وهذا الانشاد الذي انساه ذكره قلبلا فيقول:

اعلمت "هاشم" اي وقد جاحـم هذا الاديم تراه نضوا شاحبـــا
انا ذا امامك ماثلا متجبـــــرا أطا الطغاة بشسع نعلي عازبـــا
وأمط من شفتيّ هـــزءا ان ارى عفر الحياة على الحياة تكالبـــا
ارثي لحال مزخرفين حمائـــلا في حين هم متهكمون مضاربـــا
لله درّ اب يراني شاخصـــــــا للهاجرات،لحر وجهي ناصبا [30]

ولا شك انه اخذ البيت الاخير من المتنبي اذ يقول:

وانصب حر وجهي للهجير!وبعد هذه "الفورة" التي انتابت الشاعر،وانه القى ما في نفسه من حمم مترسبة صار هادئا نوعا ما، واخذ يجمع قفته ويلتقط انفاسه مفتخرا بنفسه راضيا عنها وعن رفضه لاولئك الطغاة القساة . محرّضا عليهم تاركا اللذائذ معهم ،وانه لم يكن من الذين يسيل لعابهم على اعطياتهم وهباتهم واغراءاتهم - وان كان يأخذ من غيرهم طبعا:

اتبرض الماء الزلال وغنيـــــــت كسر الرغيف مطاعما ومشاربا
اوصى الظلال الخافقات نسائمـا الا تبرد من شذاتي لاهبـــــــا
ودعا ظلام الليل ان يختط لـــــي بين النجوم اللامعات مضاربـــا
ونهى طيوف المغريات عرائســـا عن ان يعود لها كراي ملاعبـــا
لست الذي يعطي الزمان قياده ويروح عن نهج تنهج ناكـــبـــا
آليت اقتحم الطغاة مصرحـا اذ لم اعود ان اكون الرائبـــــا
وغرست رجلي في سعير عذابهم وثبت حيث ارى الدعيّ الهاربـا
وتركت للمشتفّ من آآسارهم ان يستمن على الضروع الحالبـــا
ولبين بين منافق رعي الظروف! مواكبا ومجانبا
متربـــــــــص ويعود في الليل! التقي الراهبا
بلغ الدماء مع الوحوش نهـاره وتشب منه سنامه والغاربـــا
وتسيل اطماع الحياة لعابـــــه منها ويخبط في دجاها خاطبا
عاش الحياة يصيد من متكـدر عنه وقطبت اللبانة حاجـــبا
حتى اذا زوت المطامع وجهها يهدي المضلين الطريق اللاحبا
القي بقارعة الطريـــــق رداءه يلقي الكمي بها الطغاة مناصبا
خطّان ما افترقا فما تجتر منها طاعما او شاربـــا
خطـــــــــة يجري مع الصفو الزلال شوائبا
الجوع يرصدها واما ويطير من ليل "غرابا" ناعـــبا!
حطّـــــــة بوما مشوما يستطيب خرائبـا
لابدّ"هاشم" والزمان كما تـــرى هذي الطيوف خوادعا وكواذبا
والفجر ينصر لا محالة"ديكـه" تلك العهود وان حسبن ذواهبا (31)
والارض تعمر بالشعوب فلن ترى
والحالمون سيفقهون اذا انجلـــت
لا بدّ عائدة الى عشّاقهـــــتا

ونلاحظ انه لم يترك هذه الاضداد ،هم في النهار مع الوحوش وفي الليل نجدهم رهبانا،تراه يلهث وراء المطامع فاذا ادبرت الدنيا عنه وجدته يهدي المضلينللصلاح ،ونراه اكمل البيت:

خطان ماافترقا فاما خطـــــــــة يلقي الكمي بها الطغاة مناصبا

بالبيت الذي يليه:

الجوع يرصدها واما حطـــــــة تجتر منها طاعما او شاربا [32]

وهذا ما يسميهالنقاد القدماء بالتضمين وهو عندهم من العيوب لان الشاعر لايستطيع ان يكمل فكرته ببيت واح ويستعين ببيت ثان لاكمال تلك الفكرة.ثم يختم قصيدته ختمة موفقة في ان الفجر لا بد من ان ياتي ويظهر وان الشعوب هي المنتصرة في آخر المطاف،وان طال الامد

الخاتمة

يمكنني ان الخص النتائج التي توصلت اليها بالآتي:

1- نسج الجواهري على منوال قصيدة المتنبي البائية التي مر فيها على ذكر البدويات.وتاثر به في بعض صوره واخيلته،مثلما تاثر بابي تمام.

2- انطلق من مديح الوتري الى مهاجمة السياسيين العراقيين.

3- كان اسلوب الجواهري عنيفا في لغته،ولم يتخذ الاسلوب الهادئ المبني على المحاججة وتبيان السلبيات عن طريق عرض الاخطاء باسلوب مقنع يتخذ من الدلائل والقرائن لركيزة له.

4- جمع الشاعر بين اللغة القديمة واللغة الدارجة وهذا احدث اضطرابا في شعره فلم يكن شعره مستويا- من خلال هذه القصيدة- .

5- مال الشاعر الى الشعب مما اعطاه قبولا وعناية وكوّن انفسه شريحة من القراء فضلا عن كيله الشتائم لخصومه السياسيين.

هوامش البحث

١. ديوان محمد مهدي الجواهري: 561/3.وينظر شبكة المعلومات الدولية:كتاب محمد مهدي الجواهري:89.

٢. ديوان ابي الطيب المتنبي،طبعة عزام:112.

٣. قال قدامة بن جعفر))فان الفحول والمجيدين من الشعراء والمحدثين يتوخون ذلك، ولايكادون يعدلون عنه وربما صرعوا ابياتا اخر من القصيدة بعد البيت الاول)) تقد الشعر/ 86.في حين كان من الناس من لايبالي بالتصريع ((قلة اكتراث بالشعر)) ومنهم الفرزدق وذو الرمة،العمدة : 295-294/1.

٤. والعرب تسمي هذا النوع من القصائد:الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب كل ذلك يقال...والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء.العمدة372/1.

٥. ينظر ديوان محمد مهدي الجواهري:561/3.
٦. ديوان محمد مهدي الجواهري:562/3.
٧. نفسه:562/3.
٨. ينظر:مدخل الى علم النفس: 130. ووردت في هذا الكتاب ان السمات الخمس للشخصية هي: العصابوية والانبساطية الانفتاح للخبرة وتقبل الآخرين والضمير اليقظ.
٩. ديوان محمد مهدي الجواهري:563/3.
١٠. لغة الشعر عند الجواهري:178.
١١. نفسه:184.
١٢. نفسه:97.
١٣. ديوان محمد مهدي الجواهري:563/3.
١٤. نفسه:563/3.
١٥. نفسه:563/3.
١٦. نفسه:563/3.
١٧. ينظر:ابو تمام بين ناقديه قديما وحديثا-دراسة نقدية لمواقف الخصوم والانصار:424.
١٨. ينظر:ابو تمام وقضية التجديد في الشعر:183.
١٩. ابو نمام:36.
20- ديوان محمد مهدي الجواهري:563/3.
21- نفسه:564/3.
22- لغة الشعر عند الجواهري:163.
23- ديوان محمد مهدي الجواهري:566/3.
24- درس الجواهري حديثا في العراق برسائل ماجستيرو اطاريح دكتوراه منها:التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري :جلال عبد الله
خلف،وفيها ان الجواهري عدّ ((اعظم شاعر سيلسي متمرد عرفه التاريخ قديما وحديثا ،بل ومؤسس اول مدرسة في العنف الشعري في تاريخ العراق الحديث)): 45.وفي هذا الراي نظر.وهناك اطروحتان في الدكتوراه،الاولى:في كلية الاداب عن الايقاع في شعر الجواهري، والثانية في كلية التربية للبنات،عن جدليات الجواهري.وفي اطروحة اخرى ،درس الجواهري ضمنا،بعنوان:الرفض في الشعر العراقي الحديث،وفي هذه الرسائل بدا الجواهري متمردا غير مصانع.
25- ديوان محمد مهدي الجواهري:565/3.
26- نفسه:565/3.
27- الجهام:السحاب الذي ليس فيه مطر،ولذلك كانت لفظة كاذبا موصلة الى القافية ولم يحتج اليها المعنى.
28- ديوان محمد مهدي الجواهري:566/3.
29- نفسه:566/3.
30- نفسه:566/3.
31- نفسه:567/3.
32- نفسه:567/3.

المصادر والمراجع

1- ابو تمام:د-جميل سلطان-الاردن –عمان- 2000م
2- ابو تمام بين ناقديه قديما وحديثا- دراسة لمواقف الخصوم والانصار –د عبد الله المحارب-القاهرة-1992م.
3- ابو تمام وقضية التجديد في الشعر-د عبه بدوي القاهرة-1994م
4- ديوان محمد مهدي الجواهري-دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ط2 2001م
5- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر 1987م
6- كتاب العين الخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق مهدي المخزومي بغداد 1984م
7- لغة الشعر عند الجواهري-د علي ناصر غالب بغداد 1990م
8- مدخل الى علم النفس –د طه لنعمة ود صباح العجيلي-منشورات المجمع العلمي العراقي 2004م
9- نقد الشعر-قدامة بن جعفر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة 1998م
الرسائل
10- التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري جلال عبد الله خلف بغداد 2005م
11- الرفض في الشعر العراقي الحديث عمار عبيد سلمان كلية الآداب جامعة الكوفة 2009م